

اجتهادات بيروت التي نفتقدها

المدن مثل الأشخاص. تشعر بألفة في بعض المدن في أول زيارة إليها. وتحس بغربة في مدن أخرى فور أن تطأ قدماك أرضها. تربطني بمدينة بيروت علاقة حميمة، وكذلك الحال بالنسبة إلى بعض الباحثين من جيلي والجيل الذي سبقه. عرفناها عقب انتهاء الحرب الأهلية عام 1989. فما أن وضعت هذه الحرب أوزارها حتى استعادت بيروت دورها المميز في الأنشطة الثقافية والفكرية العربية، وتوسع هذا الدور في السنوات التالية. زرتها للمرة الأولى عام 1991 للمشاركة في ندوة. وبقيت مشدودا إليها منذ ذلك الوقت. ذهبتُ إليها أكثر من أي مدينة أخرى في العالم. معظم زياراتي، التي كان آخرها في يناير الماضي، للمشاركة في مؤتمرات وندوات وأنشطة ثقافية متنوعة. في هذه المدينة الصغيرة عشرات من مراكز الأبحاث والمؤسسات الثقافية اللبنانية⁰ وفيها مؤسسات بحثية وثقافية عربية أخرى كبيرة، مثل مركز دراسات الوحدة العربية، الذي أشارك في أنشطته منذ نحو أربعة عقود، وكنتُ مديرا لمكتبه في القاهرة في أواخر الثمانينيات. وفيها أيضا مؤسسة الدراسات الفلسطينية التي كانت، هي ومركز دراسات الأهرام، طليعة مراكز الأبحاث العربية. كما ربطتني في السنوات الأخيرة علاقة وثيقة مع مؤسسة الفكر العربي. وحضرتُ، إلى ذلك، سبعا من دورات معرض بيروت الدولي للكتاب. أفتقدُ بيروت بشدة، وأشتاق إليها، وأتوق إلى ما بقي من مقاهي شارع الحمراء، وأنتظر انزياح الجائحة التي حرمتنا من أشياء نحبها، وأتابع بقلق تدهور الوضع الاقتصادي والمالي فيها. تُدهشني أرقام خيالية ارتفع إليها سعر

صرف الليرة مقابل الدولار, بعد أن تعودتُ على سعر بقى ثابتا نحو
عقدين (1500 ليرة مقابل دولار). ولكننى أثق فى قدرة اللبنانيين على
تجاوز هذه الأزمة، مثلما عبروا محنا أكبر منها، وأتطلع لأن تعود كما
عرفتُها، وعلى النحو الذى صورها شعراء عرب كثر مثل الشاعرة الكبيرة
سعاد الصباح فى ديوان وللعصافير أظافر تكتب الشعر : (بيروت/ يا
قصيدة القصائد/ يا عمرى الجميل/ مكتوبا على الرمال/ والأصداف
والغمام/ .. / بيروت يا شعرى الطويل/ منثورا على الروشة، والبرزة
...). والأشرعة البيضاء/ يا فرحى/ كطفلة ضائعة فى شارع الحمراء